بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن باسم الله يكون الابتداء، وبعونه تتم الأشياء، وبمشيئته تتصرف الدهور، وعلى إرادته تنقلب الأمور، ومنه التوفيق والتأييد، وبيده الإعانة والتسديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبتوفيقه إرشاده.

قال أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الموشي:

(نقول) ونستعين بالله على السداد ونستهديه، ونستفتح له استفتاح اللاجئ إليه ونستكفيه، يجب على المتأدب اللبيب، والمتظرف الأريب، المتخلق بأخلاق الأدباء، والمتحلي بحلية الظرفاء، أن يعرف قبل هجوعه على مالا يعلمه، وقبل تعاطيه ما لا يفهمه، تبيين الظرف وشرائع المروءة وحدود الأدب، فإنه لا أدب لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا ظرف له ولا ظرف لمن لا أدب له.

وقد وصفنا في كتابنا هذا على قدر ما بلغه علمنا، واحتوى عليه فكرنا، وجعلناه حدودًا محدودة، ومعالم مقصورة، وشرائع بينة، وأبوابًا نيرة، وشريطتنا على قارئ كتابنا الإقصار عن طلب عيوب خطائنا، والصفح عمَّا يقف عليه من إغفالنا، والتجاوز عما ينتهي إليه من إهمالنا، وإن أداه التصفح إلى صواب نشره، أو إلى خطاء ستره؛ لأنه قد تقدمنا بالإقرار، ولا بد للإنسان من زلل وعثار، وليس كل الأدب عرفناه وعلينا في ذلك الاجتهاد، وإلى الله الإرشاد، وقلَّما نجا مؤلف لكتاب من راصد بمكيدة، أو باحث عن خطيئة، وقد كان يقال من ألَّف كتابًا فقد استشرف، وإذا أصاب فقد استهدف وإذا ما أخطأ فقد استقذف، وكان يقال: لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعرًا أو يضع كتابًا، وقال الشاعر في ذلك:

لا تعرضـــن للـــشعر مـــا لم يكـــن علمـــك في أبحـــره جـــسرا

فلـــن يـــزال المـــرء في فـــسحة  مـــن عقلـــه مـــا لم يقـــل شـــعرا

وأنشد في ذلك:

الـــشعر عقـــل المـــرء يعرضـــه  والقـــول مثـــل مواقـــع النبـــل
منهـــا القـــصر عـــن رميتـــه  ونوافـــذ يـــذهبن بالخـــصل

وكان يقال: اختيار الرجل وافد عقله. فقال: لا بل مبلغ عقله، وقيل: دل على عاقل اختياره، وقيل لبعض العلماء اختيار الرجل قطعة من عقله، وقال الخليل بن أحمد: لا يحسن الاختيار إلا من يعلم ما لا يحتاج إليه من الكلام، وقال الشعبي: ذلُّ العلم كثير والعمر قصير فخذوا من العلم أروجه ودعوا ظروفه. وقال ابن عباس: العلم أكثر من أن يُحصى فخذوا من كل شيء أحسنه. (ونحن) نستعين الله ونودع كتابنا هذا جملة من حدود الأدب والمروءة والظرف، ونجعل ذلك أبوابًا مختصرة، وفصولًا محبرة، على غير نقص منا لما في كل باب، لئلا يطول به تأليف الكتاب؛ ولأن غرضنا في الاختصار، لما عليه النفوس من ملل الإكثار، ولننجوا من مقالة حاسد، أو اعتراض معاند، على أنه لا بد للحاسد وإن لم يجد سبيلًا إلى وهن، ولا سببًا إلى طعن، أن يحتال لذلك بحسب ما رُكِّب عليه طبعه، وتضمنه صدره، حتى يخصل إلى غفلة، أو يصل إلى ذلة، فيتشبث بالمعنى الحقير، ويتسبب بالحرف الصغير، إلى ذكر المثالب، وتغطية المناقب، ولأن من طبع أهل الحسد، وأرباب المعاندة والنكد، تغطية محاسن مَن حسدوه، وإظهار مساوي مَن عاندوه، وقد أخبر أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح وبشر بن موسى بن صالح الأسدي، قالا: حدثنا الأصمعي، قال: حدثني العلاء بن أسلم، قال: حدثنا رؤبة بن العجاج، قال: قال: لي فلان قصرت وعرفت، ثم قال لي: يا رؤبة عساك مثل أقوام إن سكت لم يسئلوني، وإن تكلمت لم يعوا عني قلت: أرجو أن أكون كذلك. قال: فما أعداء المروءة؟ قلت: تخبرني. قال: بنو -

السوء إن رأوا خيرًا ستروه وإن رأوا شرًّا أذاعوه، أنشدني أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:

عين الحسود عليك الدهر حارسة ... تبدي المساوي والإحسان تخفيه
يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة ... والقلب مضطعن فيه الذي فيه
إن الحسود بلا جرم عداوته ... فليس يقبل عذرًا في تجنيه

وأنشدني أبو جعفر في مثل ذلك:

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا ... شرًّا أذيع وإن لم يعلموا كذبوا

وأنشدني محمد بن إبراهيم القارئ:

وترى اللبيب محسدًا لم يجترم ... شتم الرجال وعرضه مشتوم
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدًا وبغيًا أنه لذميم

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل ... ذو الفضل يحسده ذوو النقصان
يا بؤس قوم ليس جرم غدوهم ... إلا تظاهر نعمة الرحمان

وخبرت أن المنصور قال لبعض ولد المهلب بن أبي صفرة: ما أسرع الناس إلى قومك. فقال: يا أمير المؤمنين:

إن العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا
كم حاسد لهم قد رام سعيهم ... ما نال مثل مساعيهم ولا كادا

ويروى أن عمر بن الخطاب -رحمة الله عليه- كان يتمثل بهذين البيتين:

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وأنشدنا أحمد بن عبيد، قال: أنشدنا العتبي عن أبيه:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا

ما زلت أقدم أفراسي مكلمة ... حتى اتخذت على حسادهنَّ يدا

وأنشدت:

كل العداوة قد ترجا إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وبلغ محمد بن عبد الله بن طاهر أن قومًا من الموالي يحسدونه فقال:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرهم غيظًا بما يجد

أنا الذي يجدوني في صدورهم ... لا أرتقي صعدًا منها ولا أرد

وقال أزدشير بن بابك: كل خصلة رديئة فهي دون الحسد؛ لأن الحسود يسعى على من أحسن إليه ويبغي الغوائل لمن أنعم عليه، وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًا ذكر بعض الحساد. فقال: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد؛ حزن لازم ونفس دائم وعقل هائم. وقال حاتم طيء:

يا كعب ما أن ترى من بيت مكرمة ... إلا له من بيوت الشرِّ حسادا

والتحرز من الحساد مالا سبيل لنا إليه، والتحفظ من ألسنتهم ما لا نقدر عليه. لكن أقول كما قال الشاعر:

ما يضر البحر أمسى زاخرًا إن رمى فيه غلام بحجر

(وأصدر) كتابي هذا مستعينًا بالله راغبًا إليه بذكر الأدب وصفته، وما يحتاج الأدباء إلى معرفته، وأشفعه بأشياء يستحسنها الأديب، ويرغب في دراستها الأريب، وبالله التوفيق.